مفتاح في المنفى

إن لم يجد مفتاحي مكاناً في بيتي الذي حُرِّمته

فليجد مكاناً حيث يتذكر الناس حرماني

البرد شديد ..

أشتاق إلى أكُفِّهم تلتف حولي

إلى الشمس تغمرني

كل صباح

في مكاني السري

حيث أبيت

على حافة الجدار

منتظراً عودة الابن المفقود

الذي كان آخر ما سمعه هنا نداء أبيه: "تعرِف أين تجد مفتاحي أي بني!.."

السكون مطبق..

أحن إلى وعورة الطريق

إلى تدافع الناس والخيل والعربات

يفقدوني... يفتشون جيوبهم متسائلين:

"أين وضعتُ مفتاحي؟ .." يجدونني

يقبلونني مع الحمد والابتهالات

الصمت خانق..

أذوب حزناً على أطفال

كانت أصواتهم تملأ الدار

كانوا يتقاذفونني في الهواء

أقع .. أقرقع على الحجر، فيقفز إلي أحدهم:

"ها هو مفتاحي " وتنتهي اللعبة

لأعاد إلى حافة الجدار

أنتظر اخاهم الذي لن يعود

وحيد .. وحيد أنا..

منذ يوم الهلع

يوم غادروا جميعهم دار الأجداد

فأكلن الصدأ

لكنني الآن هنا

في بيت محبة

لي قاعدتي ويحيطني إطار

يروي حكايتي مع الأخوة .. والجدار.. وضياع الدار..

يمر أمامي الناس .. يتفهمون المصاب

فيتوقفون للذكرى

ويحيطونني بالدفء

ويبدأ الشفاء..

كتب الأب غيرانت آب ايرورث، راعي كنيسة بينال في ويلز:

راودتني فكرة المنحوتة عام 2003 خلال الصلاة التي كنت أتولّاها في كنيستي تخليداً لذكرى يوم دير ياسين، وهي كنيسة سانت بيتر آد بينكولا في بينال، سنودونيا الجنوبية، في ويلز.

كانت فكرتي هي إقامة تذكارٍ بسيط لنكبة 1948 الفلسطينية تتمحوَر حول المفتاح؛ وَجَب أن يكون المفتاح مفتاحاً أصيلاً لبيتٍ فلسطيني –وليس نسخة– كما وَجبَ أن يكون المفتاح مُلكاً لعائلةٍ موجودة ترمز إلى بيتٍ مسلوبٍ ومجتمع مدمَّر.
شعرت بصعوبة إيجاد مفتاح كهذا وجلبه إلى ويلز، مِمّا ولّد عندي شعور بالامتعاض وقلة الحيلة. أمّا حين وصلني المفتاح المنشود، فقد أصابني عندئذٍ ذهولٌ دام عدة أسابيع: لقد أصبحنا سدنته... صرنا مسؤولين عن الحفاظ على أثر مبارك من آثار الأرض المقدسة! وهو فعلاً كذلك، إنه أثر مبارك -ويا للعجب- أثر حّي، له مدلوله الذي قد لا نفهمه نحن الغربيين أبداً.
تعوَّدنا أن نرى في كنائسنا أنواعاً متعددة من المنحوتات والقواعد، منها ما خُصِّص للأزهار أو الشموع، وكلها خفيفة الوزن وسهلة الحمل وليس ثمَّة من يتردد في لمسها وتحريكها إن لزم الأمر. أما المنحوتة حاملة المفتاح، فعند رؤيتها للمرة الأولى يشعر الكثيرون بالاندفاع إلى لمسها والإمساك بها، لكن السلك الشائك يجبرهم على التراجع.

في أعلى المنحوتة شكل قلب يمثل العالَم المعانِق لِعصا الراعي حيث المفتاح معلَّق وحده. القلب محاط بتاج شائك (يرمز للجمعة الحزينة)، بينما الجذع مُحاط أيضًا بأسلاك شائكة. لكن المفتاح من منتصفه إلى أسفله فهو مكشوف. مكشوف. وحيد. في العراء.
ويمثل عصا الراعي كل من ارتبطت أسماؤهم بمصير الفلسطينيين، كالرب، وشعب اسرائيل التوراتي، والغرب المسيحي وقادته ..الخ..
والجزء الذي لا يتجزأ من المنحوتة هو القفل والسلسلة (غير موضَّحين) الذي يربط المفتاح بقضبان المناولة المقدسة. ويقف المفتاح إلى يمين تذكار كنيستنا للمحرقة اليهودية على يد النازية وهو لوحة اليهودي المصلوب للفنان كاريل ليك (بوماريس).

الأب غيرانت آب ايرورث، راعي كنيسة بينال في ويلز
النحات: جون بودزا من بينال
المصور: ارفيل لويد ديفس من دولجلاو